

الْمَلَكَةُ الْمُنَوَّرَةُ

العدد الثالث والثلاثون / ربيع الثاني - جمادى الثاني ١٤٣١ هـ . إبريل - يونيو ٢٠١٠ م



٣٣

- التتبع المكاني والزمني لمعالم طريق الهجرة النبوية.

- حركة تاريخ المدينة المنورة في العقود الثلاثة من القرن الخامس عشر الهجري (١٤٣٠ - ١٤٠٠ هـ)

- النص الراحل في كتاب: "من نفحات الحرث"

- على الطنطاوي تجلياته وجمالياته

- رعاية الله التربوية والعلمية للنبي ﷺ



رعاية الله التربية والعلمية لخاتم الأنبياء،
صلوات الله عليه وسلم
القسم الثاني

د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي
الأستاذ المشارك بقسم التفسير
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

نوبية النبي ﷺ على عبادة الذكر عامة

أمر الله تعالى نبيه بذكره والدوام على ذلك فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَبَيْتَ إِلَيْهِ تَبَّيْلًا﴾ [المزمول: ٨]. أي: دُم على ذكره ليلاً ونهاراً، على أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد^(١).

وكذلك أمر الله نبيه ﷺ بذكره عامة في موضع وأوقات كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]. فـ"بكرة": صلاة الصبح، وأصيلاً: صلاة الظهر^(٢). ويذكره إذا نسي فيقول له: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيْتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

وقد أمره بذكره على جميع الأحوال، وحذر من الغفلة عن ذكره فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضْرُعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهَرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

(١) أيسير التفاسير للجزائري ٤٥٦/٥.

(٢) جامع البيان ٢٤/١١٧.

و"الذكر لله تعالى يكُون بالقلب، ويَكُون باللسان، ويَكُون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فَأَمَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّداً أَصْلَا وَغَيْرِهِ تَبَعَا بِذِكْرِ رَبِّهِ فِي نَفْسِهِ، أَيْ: مَخْلُصاً خَالِياً.

﴿تَضَرَّعًا﴾ أَيْ: مَتَضَرِّعاً بِلِسَانِكَ، مَكْرُراً لِأَنْواعِ الذِّكْرِ،
 ﴿وَخِيفَةً﴾ فِي قَلْبِكَ، بِأَنْ تَكُونَ خَائِفًا مِنَ اللَّهِ وَجْلَ الْقَلْبِ مِنْهُ؛ خَوفًا
 أَنْ يَكُونَ عَمْلُكَ غَيْرَ مَقْبُولٍ. وَعَلَامَةُ الْخُوفِ أَنْ يَسْعِي وَيَجْتَهُدُ فِي
 تَكْمِيلِ الْعَمَلِ وَإِصْلَاحِهِ وَالنَّصْحِ بِهِ.

﴿وَدُونَ الْجَهَرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أَيْ: كَنْ مُتَوَسِّطًا، لَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا
 تَخَافَتْ بِهَا، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ أَوْ النَّهَارُ ﴿وَالْأَصَالِ﴾
 آخِرُهُ، وَهَذَانِ الْوَقْتَانِ لِذِكْرِ اللَّهِ فِيهِمَا مَزِيدَةٌ وَفَضْيَلَةٌ عَلَى غَيْرِهِمَا.
 ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الَّذِينَ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [الْحَشْر: ١٩]،
 فَإِنَّهُمْ حَرَمُوا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَعْرَضُوا عَنْ كُلِّ السُّعَادَةِ وَالْفَوْزِ
 فِي ذِكْرِهِ وَعَبُودِيَّتِهِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى مَنْ كُلِّ الشَّقاوَةِ وَالْخَيْبَةِ فِي
 الْاشْتِغَالِ بِهِ. وَهَذِهِ مِنَ الْأَدَابِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَرْعَى هَا حَقَّ رِعَايَتِهَا،
 وَهِيَ إِلَيْكُمْ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(١).

تربيته على عبادة التسبیح

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِالْتَّسْبِيحِ فِي أَوْقَاتٍ وَمَوَاقِفٍ كَثِيرَةٍ
 بِتَوْجِيهِاتٍ عَدِيدَةٍ يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا فِي النَّقَاطِ التَّالِيةِ:

١ - الأمر بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها:

قال تعالى: ﴿وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدُ رَبِّنَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ عَرُوبِهَا وَمِنْ إِنَّا
 أَتَيْلَ فَسِيْحَ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لِعَلَّكَ تَرَضَى﴾ [طه: ١٣٠].

(١) المحرر الوجيز/٥٦٦/٢.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِنَبِيِّهِ: "اتْجَهْ إِلَى رَبِّكَ . سَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ عَرُوبِهَا﴾، فِي هَدَأَةِ الصَّبَحِ وَهُوَ يَتَنَفَّسُ وَيَتَفَتَّحُ بِالْحَيَاةِ، وَفِي هَدَأَةِ الْغَرَوْبِ وَالشَّمْسِ ثُوَدَّعُ، وَالْكَوْنُ يَغْمَضُ أَجْفَانَهُ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ فَتَرَاتِ مِنَ الظَّلَلِ وَالنَّهَارِ .. كُنْ مَوْصُولاً بِاللَّهِ عَلَى مَدَارِ الْيَوْمِ .

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ إِنَّ التَّسْبِيحَ بِاللَّهِ اتِّصَالُ، وَالنَّفْسُ الَّتِي تَتَصلُّ تَطْمَئِنُ وَتَرْضَى . تَرْضَى وَهِيَ فِي ذَلِكَ الْجَوَارِ الرَّاضِيِّ، وَتَطْمَئِنُ وَهِيَ فِي ذَلِكَ الْحَمْيِ الْآمِنِ، فَالرَّاضِي ثَمَرَةُ التَّسْبِيحِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ وَحْدَهُ جَزَاءُ حَاضِرِ يَنْبَتُ مِنْ دَاخِلِ النَّفْسِ وَيَتَرْعَرِعُ فِي حَنَاءِ الْقَلْبِ^(١) .

٢ - الجمع بين التسبيح والتحميد:

قَالَ تَعَالَى : ﴿وَسَيِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ حَمِيرًا﴾  [الفرقان: ٥٨].

"أَيْ: اقْرَنْ بَيْنَ حَمْدِهِ وَتَسْبِيْحِهِ"^(٢)؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ  يَقُولُ: سَبَحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ  يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سَبَحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)^(٣).

وَالْبَاءُ فِي ﴿بِحَمْدِهِ﴾ لِلْمَاصِحَّةِ، أَيْ: سَبِّحْهُ تَسْبِيْحًا مَاصِحَّا لِلثَّاءِ عَلَيْهِ بَمَا هُوَ أَهْلُهُ . فَقَدْ جَمَعَ لَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ التَّخْلِيَّةُ وَالتَّحْلِيَّةُ مَقْدِمًا التَّخْلِيَّةُ؛ لَأَنَّ شَأْنَ الإِصْلَاحِ أَنْ يَبْدُأْ بِإِزَالَةِ النَّقْصِ^(٤)، "أَيْ: نَزَّهَ اللَّهُ

(١) فِي ظُلُلِ الْقُرْآنِ ٤/٢٣٥٦-٢٣٥٧.

(٢) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ٦/١١٩.

(٣) صَحِيفَ الْبَخْرَى، كِتَابُ صَفَةِ الصَّلَاةِ، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ (٧٦١)، وَمُسْلِمُ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا يَقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٤٨٤).

(٤) التَّحْرِيرُ وَالنَّنْوِيرُ ١٩/٨٠.

تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار به من الشركاء^(١).

٣- التسبيح عند الكرب:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾٦٧﴾ فَسَيِّحْ يَحْمَدْ رَبَّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾٦٨﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨].

قال الرازى: "اعلم أنه تعالى لما ذكر أن قومه يسفهون عليه قال له: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾؛ لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال له: ﴿فَسَيِّحْ يَحْمَدْ رَبَّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾٦٨﴾ فأمره: بالتسبيح والتحميد والسجود. واختلف الناس في أنه كيف صار الإقبال على هذه الطاعات سبباً لزوال ضيق القلب والحزن؟

فقال المعرفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك صارت الدنيا بالكلية حقيرة، وإذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجودها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجودها، وعند ذلك يزول الحزن والغم^(٢).

٤- تعظيم الله تعالى بالتسبيح:

قال تعالى: ﴿فَسَيِّحْ يَأْسِمْ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[الحاقة: ٥٢]. أي: نزه ربك العظيم؛ كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقلبك ولسانك وجوارحك؛ لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى، ويُطاع فلا يُعصى^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٢/١٣.

(٢) تفسير الرازى ١٧١/١٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٠.

وقال تعالى: ﴿سَيِّدُ أَسْمَارِكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. فـأمر بـتسبيحه المتضمن لـذكره وعبادته، والخضوع لـجلاله، والاستكانة لـعظمته، وأن يكون تسبيحاً يليق بـعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بـمعناها الحسن العظيم^(١).

والخطاب هنا لـرسول الله ﷺ ابتداء، وهذا الأمر صادر إليه من ربه بهذه الصيغة: ﴿سَيِّدُ أَسْمَارِكَ الْأَعْلَى﴾. وفيه من التلطيف والإيناس ما يجعل عن التعبير. وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ هذا الأمر ثم يعقب عليه بالاستجابة المباشرة قبل أن يمضي في آيات السورة، يقول: سـبـحـانـ رـبـيـ الـأـعـلـىـ فـهـوـ خـطـابـ وـرـدـهـ، وـأـمـرـ وـطـاعـتـهـ، وـإـيـنـاسـ وـمـجاـوبـتـهـ، يـتـلقـىـ مـباـشـرـةـ وـيـسـتـجـيبـ، فـحـيـنـماـ نـزـلـتـ هـذـهـ الـآـيـةـ قـالـ: (اجـلـوـهـاـ فـيـ سـجـودـكـمـ). وـحـيـنـماـ نـزـلـتـ: ﴿فَسَيِّدُ بِأَسْمَارِكَ الْأَعْظَمِ﴾ قال: (اجـلـوـهـاـ فـيـ رـكـوعـكـمـ)^(٢)، فـهـذـاـ التـسـبـيـحـ فـيـ الرـكـوعـ وـالـسـجـودـ كـلـمـةـ حـيـةـ أـلـحـقـتـ بـالـصـلـاـةـ وـهـيـ دـافـئـةـ بـالـحـيـاةـ؛ لـتـكـونـ اـسـتـجـابـةـ مـباـشـرـةـ لـأـمـرـ مـباـشـرـ، أـوـ بـتـعـبـيرـ أـدـقـ: لـإـذـنـ مـباـشـرـ^(٣).

٥ - التسبیح عند النصر:

قال تعالى: ﴿فَسَيِّدُ مُحَمَّدِ رِبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾ [النصر: ٣]. "التسبيح والحمد على ما أولاهم من مثة لأن جعلهم أمناء على دعوته، حراساً لـدينه، وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره

(١) تيسير الكريم الرحمن .٨٣٥.

(٢) كما في حديث عقبة بن عامر الجهني الذي أخرجه أحمد في المسند ١٥٥/٤ (١٧٤٥٠)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه (٨٦٩)، وابن ماجه، كتاب إقامة، الصلاة، باب التسبیح في الركوع والسجود (٨٨٧)، قال النووي في خلاصة الأحكام ٣٩٦/١ (١٢٥٥): "إسناد حسن".

(٣) في ظلال القرآن ٣٨٨٣/٦ باختصار .

لدينه، وفتحه على رسوله، ودخول الناس أفواجاً في هذا الخير الفائض العميم بعد العمى والضلال والخسران^(١).

٦- التسبيح عند القيام من المجلس أو للصلوة أو من النوم في الليل:

قال تعالى: ﴿وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدُ رَبُّنَا حِينَ نَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]. قال الصحاك: أي إلى الصلاة: (سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك)^(٢) وقال أبو الجوزاء: ﴿وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدُ رَبُّنَا حِينَ نَقُومُ﴾ أي: من نومك. ويتأيد هذا القول بما رواه عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: (من تَعَارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قادر. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لـي - أو قال: ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضاً ثم صلى تقبلت صلاتـه)^(٣).

قال مجاهد: ﴿وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدُ رَبُّنَا حِينَ نَقُومُ﴾ أي: من كل مجلس، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: (من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه

(١) في ظلال القرآن ٣٩٩٦/٦.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك (٧٧٦). والترمذني، كتاب أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة (٢٤٢). وابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنـة فيها، باب افتتاح الصلاة (٨٠٦). وصححة الألباني في إرواء الغليل ٤٨/٢ (٣٤٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلـي (١١٠٣).

ذلك^(١) .

٧- التسبيح في قيام الليل:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَسِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومَ﴾ [الطور: ٤٩]. أي: اذكره واعبده بالتلاؤة والصلوة في الليل^(٢). أي: وفي أوقات الليل وأدبار الصلوات، فإن ذكر الله تعالى مسلٌ للنفس مؤنس لها، مهمون للصبر^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسِّحْهُ يَلَّا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]. التسبيح: التزية بالقول وبالاعتقاد، ويشمل الصلوات والأقوال الطيبة، والتذكرة في دلائل صفات الله وكمالاته، وغلب إطلاق مادة التسبيح على الصلاة النافلة^(٤).

تربية النبي ﷺ على عبادة الاستغفار

أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار تربية له على هذه العبادة العظيمة وذلك في موضع منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦]

قال السعدي: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مما صدر منك إن صدر. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: يغفر الذنب العظيم لمن استغفره وتاب إليه وأناب، ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجب لثوابه وزوال عقابه^(٥).

(١) أخرجه الترمذى، كتاب الدعوات، باب ما يقال إذا قام من المجلس (٣٤٣٣)، وصححه الألبانى في صحيح الترمذى.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٢٨/٧ - ٤٤٠ باختصار.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٤٠ / ٧ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٨٠٧ .

(٥) التحرير والتبيير ٣٧٦/٢٩ .

(٦) تيسير الكريم الرحمن ٢٠٠ .

٢- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ رَبَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد لأمر ربك، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ﴾ أي: وسله غفران ذنبك وعفوه لك عنه"^(١).

٣- وقال تعالى: ﴿فَاعْمَلْ أَنْهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. أي: وسل ربك غفران سالف ذنبك وحدادها، وذنبو أهل الإيمان بك من الرجال والنساء^(٢).

قال القرطبي: "يتحمل وجهين: أحدهما: يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب. الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنب"^(٣).

وقال السعدي: "اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنب والغفو عن الجرائم.

واستغفر أيضاً ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فإنهم بسبب إيمانهم كان لهم حق على كل مسلم وMuslimة"^(٤).

٤- وقال تعالى: ﴿فَسَيِّعْ بِخَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾ [النصر: ٣].

وفي أمره بهذا الاستغفار بعد النصر فوائد منها:

- "ليكون ذلك منه شكرًا لله تعالى على نعمه؛ لأن تجديد النعم

(١) جامع البيان .٤٠٣/٢١

(٢) جامع البيان .١٧٤/٢٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن .٢٤٢/١٦

(٤) تيسير الكريم الرحمن .٧٨٧

يُوجَب تجديد الشكر^(١) .

● "في الاستغفار توجه بالذات لحال العبد وتقصيراته، ويجوز أن يكون طلب الاستغفار بعدهما؛ لما في مشروعية تعقيب العبادة بالاستغفار وفي تقديمها - النصر والفتح - على الدعاء تعليم أدب الدعاء، وهو أن لا يسأل فجأة من غير تقديم الشاء على المسؤول منه

وَبَعْدَهُ " (٢)

● الاستغفار ينفي الزهو الذي قد يساور القلب من سكرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظفر بعد طول العناء، وهو مدخل يصعب توقيه في القلب البشري، فمن هنا علمنا الاستغفار.

● الاستغفار من التقصير في حمد الله وشكره، فجهد الإنسان ضعيف محدود، وألاء الله دائم الفيض والهملان .. فمن هذا التقصير يكون الاستغفار ..".

وقد لبّى رسول الله ﷺ أمر ربه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثُر في آخر أمره من قول: (سبحان الله وبحمده، أستغفر لله وأتوب إليه) فقلت: يا رسول الله أراك تكثُر من قول: (سبحان الله وبحمده، أستغفر لله وأتوب إليه)؟ فقال: (إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرًا لَّهُ وَالْفَتْحُ ﴾ ١ وَرَأَيْتَ الْتَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفَوَاجَأَ ﴾ ٢ فَسَيِّعَ

(١) النكوت والعيون ٣٦١/٦.

(٢) روح المعاني ٣٣١/٣.

(٣) في ظلال القرآن ٣٩٩٦/٦.

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا ﴿النصر: ١-٣﴾ .^(١)

وَكَانَ يَقُولُ ﷺ: (إِنِّي لَا سْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مائة مَرَّة) .^(٢)

تربيـة النـبـي ﷺ عـلـى عـبـادـة قـرـاءـة القرـآن

كتاب الله تعالى هو زاد الداعية إلى الله تعالى؛ ليعينه على مواصلة طريقه إلى الله تعالى. ومن هنا جاءت عنابة الله تعالى برسوله ﷺ في هذا الجانب، فقد أمره ربه بقراءة القرآن وترتيله، وهذا كله تربية له على هذه العبادة العظيمة.

فأمره الله تعالى في بداية الدعوة بترتيل القرآن قال تعالى: ﴿وَرَأَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمول: ٤٥].

قال السعدي: "فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكير، وتحريك القلوب به، والتبعيد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، فإنه قال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ أي: نوحى إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف حقيق أن يتهيأ له ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه".^(٣)

وأكـد الله تعالى على ترتيل القرآن في الدعـوة إلى الله فقال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فِرْقَنَهُ لِنَقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي: "أنزلناه آية آية، مبيناً مفسراً؛ ولهذا قال: ﴿لِنَقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾ أي: مهل ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ أي:

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافر، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (٦٣٠٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٨٩٢.

شيئاً بعد شيء^(١) .

تربية النبي ﷺ على عبادة الدعاء

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بدعائه والالتجاء إليه في كل أمره الدينية

والدعوية والدنيوية، وورد ذلك في القرآن في عدد من المواقع، ومنها:

١ - أمر الله نبيه بدعائه بحسن المدخل والمخرج وقوة

الحجّة:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]. يأمر تعالى نبيه محمدًا ﷺ بدعائه بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أي: اجعل مداخلي وخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك؛ وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقتها الأمر.

﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ أي: حجة ظاهرة، وبرهانًا قاطعاً على جميع ما آتيه وما أذره، وهذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها خيراً ومقربة له إلى ربِّه، وأن يكون له على كل حال من أحواله دليل ظاهر، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، والعلم بالمسائل والدلائل^(٢).

٢ - أمر الله نبيه بطلب الهدى:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا﴾ [الكهف: ٢٤]. أي: "قل في نفسك: عسى أن يهديني ربِّي لأقرب من هذا رشدًا،

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/١٢٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٤ باختصار وتصريف.

أي أدع الله بهذا^(١). فأمراه أن يدعوا الله ويرجوه، ويتحقق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد. وحرى بعد تكون هذه حاله ثم يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، ويسدده في جميع أموره^(٢).

٣- أمر الله نبيه بالدعاء بزيادة في العلم:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْ فِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم؛ فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، والطريق إليها الاجتهد والشوق للعلم، وسؤال الله والاستعانة به، والافتخار إليه في كل وقت^(٣).

٤- أمر الله نبيه بطلب العصمة مما وقع فيه الظالمون:

قال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيكَ مَا يُؤْعَدُونَ ﴾١٣﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٤-٩٣]. أي: قل يا محمد: رب إنْ تُرِيكَ في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك، فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين، ولكن اجعلني من رضيت عنه من أوليائك^(٤).

٥- أمر الله نبيه بالاستعاذه من همزات الشياطين وحضورهم:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمْزَتِ الشَّيَاطِينَ ﴾١٧﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٨-٩٧]. وقل يا محمد: رب أستجير بك من خنق

(١) التحرير والتبيير .٥٠/١٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن .٤٧٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن .٥١٤.

(٤) جامع البيان .٦٧/١٩.

الشياطين وهمزاتها.

وقوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّيْ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أي: وقل أستجير ﴿بِكَ رَبِّيْ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ في أمري^(١).

فأمره "أن يستعيد من الشياطين، لأنهم لا تنفع معهم الحيل، ولا ينقادون بالمعروف".

٦ - أمر الله نبيه بطلب المغفرة:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّيْ أَغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاجِئِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].
أي: وقل يا محمد: رب استر على ذنبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك، وتركك عقابي على ما اجترمت ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاجِئِينَ﴾ يقول: وقل:
أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه^(٢).
فهذا "خطاب للنبي ﷺ بأن يدعو ربه بالمغفرة والرحمة"^(٣).

٧ - أمر الله نبيه بالاستعاذه من الشيطان عند وسوسته:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

"إِمَّا يَلْقَيْنَ الشَّيْطَانَ يَا مُحَمَّدَ فِي نَفْسِكَ وَسُوْسَةَ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ" إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مسأته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعادتك منه واستجارتك به من نزعاته^(٤).

(١) جامع البيان ٦٩/١٩-٦٨/١٩ باختصار.

(٢) جامع البيان ٨٥/١٩.

(٣) التحرير والتبيير ١١١/١٨.

(٤) جامع البيان ٤٧٣/٢١.

٨- أمر الله نبيه ﷺ بالاستعاذه من كل الشرور:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۚ ۖ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۚ ۖ وَمِنْ شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۚ ۖ وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۚ ۖ وَمِنْ شَرِّ
حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۚ ۖ﴾ أي: "﴿قُلْ﴾ متعوداً ﴿أَعُوذُ﴾ أي: الجأ وألوذ
وأعتصم ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.
﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله من إنس وجنٌ
وحيوانات.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل حين
يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة والحيوانات
المؤذية.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: ومن شر السواحر اللواتي
يسعن على سحرهن بالنفث في العقد التي يعقدنها على السحر.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وهذه السورة تضمنت الاستعاذه من
جميع أنواع الشرور عموماً وخصوصاً^(١).

٩- أمر الله نبيه ﷺ بالاستعاذه من شر الوسواس من الجن والإنس:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۚ ۖ مَلِكِ النَّاسِ ۚ ۖ إِلَهِ
النَّاسِ ۚ ۖ مِنْ شَرِّ الْوَسُوُسِ الْخَنَّاسِ ۚ ۖ الَّذِي يُوَسُوسُ فِي صُدُورِ
النَّاسِ ۚ ۖ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذه السورة مشتملة على
الاستعاذه برب الناس ومالكهم وإلههم من الشيطان الذي هو أصل
الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره أنه يوسم في صدور

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٧ باختصار.

الناس. والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس^(١).

تربية النبي ﷺ على عبادة الصلاة

تتضح تربية الله تعالى لنبيه ﷺ على الصلاة في مواضع وصور في القرآن منها:

١ - أمر الله تعالى نبيه بكثرة السجود:

وقال تعالى: «فَسَيِّخَ بِمَحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ» [الحجر: ٩٨].
والمعنى: "فافزع فيما نابك من أمر تكرهه إلى الشكر لله والثناء عليه
والصلاه"^(٢).

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ما أوحى إليّ أن أجمع المال وأكون من التجارين، ولكن أوحى إليّ أن «فَسَيِّخَ بِمَحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ»)^(٣). فهو أمر بـأن "أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده
والصلاه فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه"^(٤).

وفي السجود يكون العبد أقرب إلى ربه، وهذا هو المرجو والهدف من الصلاة. قال الألوسي: "فيه التعبير عن الكل بالجزء، وهذا السجود أفضل الأجزاء؛ لما صح من قوله ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)"^(٥).

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٧.

(٢) جامع البيان ١٥٩/١٧.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي مسلم الخولاني ١٣١/٢. والديلمي من حديث أبي الدرداء ٦٢٩٧/٩٥/٤. والسيوطى في جامع الأحاديث ٤٥٥/١٨. قال العراقي: "أخرجه ابن مردوه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين". انظر: المغني عن حمل الأسفار ٤٢٠/١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم ٤٨٢).

وفي أمره ﷺ بما ذكر إرشاد له إلى ما يكشف به الغم الذي يجده، كأنه قيل: افعل ذلك يكشف عنك ربك الغم والضيق الذي تجده في صدرك^(١).

وفي الآية إشارة إلى الترغيب بالجماعة إذ لم يقل وكن ساجداً، وإنما قال: ﴿وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾.

٢ - أمر الله تعالى نبيه بإقامة الصلاة في وقتها:

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسِيقِ الْأَيَّلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٢٧٨]. يقول تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾، وهذه الآية دخل فيها أوقات الصلاة الخمسة، فمن قوله: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: زوالها، ﴿إِلَى غَسِيقِ الْأَيَّلِ﴾ وهو: ظلامه، وقيل: غروب الشمس، وأخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ يعني: صلاة الفجر^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يفسره ما ورد عن أبي هريرة رض عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: (تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار)^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَقَ النَّهَارِ وَزُلْفَامِنَ الْأَيَّلِ﴾ [اهود: ١١٤]. يعني: صل[ٌ] ﴿طَرَقَ النَّهَارِ﴾ يعني: الغداة والعشي. ﴿وَزُلْفَامِنَ الْأَيَّلِ﴾ يعني: ساعاتٍ من الليل^(٤).

(١) روح المعاني ١٤/٨٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/١٠١-١٠٢ باختصار.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الصلاة، باب وقت صلاة الفجر (٦٧٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة.

(٤) جامع البيان ١٥/٥٠٢-٥٠٥ باختصار وتصريف.

٣- أمر الله نبيه ﷺ بإقامة الصلاة؛ لأنها ترقي بالخلق وتحافظ على الدين:

قال تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٥]. هذا أمر للرسول بالصلاه؛ لأنها تشتمل على ترك الفواحش والمنكرات، أي: إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك^(١).

"وجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستثير قلبه ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو ت عدم رغبته في الشر، وبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصداتها وثمراتها. وئم في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن"^(٢).

تربية النبي ﷺ على عبادة قيام الليل

إن قيام الليل جزء من التربية على الصلاة، ولأهميته وتأكيد الله تعالى عليه في القرآن أفردناه، فقد جاء الأمر به في آيات كثيرة. وهي من أوائل ما نزل من القرآن. قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ فِي الَّيْلِ إِلَّا قَيْلَأً ۖ يَصْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقُضُ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ ۚ ۖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۖ ۖ إِنَّا سَنُنَقِّي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۖ ۖ إِنَّ نَاسَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُ دُوَّنًا وَأَقْوَمُ قِلَّا ۖ﴾** [المزمول: ١ - ٦]. فهذه "دعاوة الله الكبير المتعال **﴿فُو﴾** للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبر، الثقيل

(١) تفسير القرآن العظيم / ٢٨٠ باختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ٦٣٢.

المهياً لك. قم للجهاد والنصب والكد والتعب. قم فقد مضى وقت النوم والراحة .. قم فتهياً لهذا الأمر واستعد.

ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدره، فكان (يقوم الليل حتى تنفطر قدماه)^(١). إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة.. قيام الليل؛ فأكثره: أكثر من نصف الليل، ودون ثلثيه. وأقله: ثلث الليل.

ثم يقول الله تعالى له: «إِنَّ نَاسَةَ اللَّيلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأَ وَأَقْوَمُ قِيلًا». فـ «نَاسَةَ اللَّيلِ» هي ما ينشأ منه بعد العشاء. «أَشَدُّ وَطْأً»: أي أجهد للبدن. «وَأَقْوَمُ قِيلًا»: أي أثبت في الخير.

فإن مغالية هتاف النوم وجاذبية الفراش بعد كد نهار أشد وطأاً وأجهد للبدن، ولكنها إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله، وإيثار للأنس به، ومن ثم فإنها أقوم «قِيلًا»؛ لأن للذكر فيها حلاوته، وللصلوة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها، وإنها لتسكب في القلب أنساً وراحة وشفافية ونوراً قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره.. والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرّب إليه وما يقع عليه، وأي الأوقات يكون فيها أكثر تفتحاً واستعداداً وتهيئاً، وأي الأسباب أغلق به وأشد تأثيراً فيه^(٢).

إنها عنية الله بسيد الخلق والبشرية إذ لابد من إعداد روحي عالٍ له، وقد اختاره الله لحمل رسالته، وائتمنه على دعوته، وجعله شهيداً على الناس.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً} (٤٨٣٧).

(٢) في ظلال القرآن/٦-٣٧٤٥/٣٧٤٦ باختصار وتصريف.

ويستمر الأمر بقيام الليل طيلة حياته ﷺ فيقول الله تعالى: **﴿وَمِنْ أُلَيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَيِّحْ لَهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾** [الإنسان: ٢٦]؛ ولذلك وصَّى به من سأله الرفقة في الجنة. عن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ قال: كنت أبكيت عند النبي ﷺ فاتيه بوضئه و حاجته ، فقال لي: سَلْ . فقلت: أسألك مراجعتك في الجنة. فقال: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذلك. قال: (فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) ^(١).

ويحظر الله تعالى نبيه ﷺ على قيام الليل فيقول: **﴿وَمِنْ أُلَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾** [الإسراء: ٧٩]. يقول السعدي: أي: "صلاة الليل فرض عليك بالخصوص، ولكرامتك على الله أن جعل وظيفتك أكثر من غيرك؛ وليكثر ثوابك وتثال بذلك المقام محمود، وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، مقام الشفاعة العظمى، حين يتشفع الخلائق بآدم، ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشعروا بسيده ولد آدم ليرحمهم الله من هول الموقف وكريمه، فيتشفع عند ربها فيتشفعه، ويقيمه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الخلق" ^(٢) .

الرعاية التربوية في جانب الأخلاق والمعاملات

يبرز هذا الجانب في الرعاية بروزاً واضحاً بالنظر إلى سلوكه ﷺ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والتحفظ عليه (٤٨٩).

(٢) انظر: حديث الشفاعة، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام ربنا يوم القيمة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٦٤.

وحياته العملية والدعوية، فهذه الرسالة العظيمة لا بد أن يحملها رجل عظيم في كل الجوانب.

"إن في هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فتطيق شخصيته تلقي هذا الثناء في تماسك وتوازن وطمأنينة؛ طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم"^(١).

نعم إن العناية الربانية بالجانب الخلقي لرسول الله ﷺ وصلت أبعد الحدود، وارتقت إلى أعلى المراتب، ومورست أعظم الممارسة في الواقع لم يكن يعرف هذا الرقي وهذه الأخلاقيات.

فأعاد الله تعالى رسوله ﷺ إعداداً خلقياً لحمل الرسالة العظمى التي ملخصها في قوله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٢).
وسنبرز هذا الجانب من خلال النقاط التالية:

١- ثناء الله تعالى على رسوله ﷺ بحسن الخلق عموماً:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. أي: "إِنَّكَ يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبَه الله به، وهو الإسلام وشرائعه"^(٣).

قال السعدي: "أي: مستعلياً بخلقك الذي من الله عليك به،

(١) في ظلال القرآن/٦٣٥٦.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ/٩٠٤/١٦٠٩، والحاكم في المستدرك/٤٢٢١ (٦٧٠/٢)، والبخاري في الأدب المفرد ١٠٤/١ (٢٧٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥).

(٣) جامع البيان/٢٣/٥٢٨.

وَحَاصِلُ خَلْقِهِ الْعَظِيمِ مَا فَسَرَتْهُ بِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ سَأْلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: (كَانَ خَلْقَهُ الْقُرْآنَ) ^(١).

فَهَذِهِ الْآيَةُ وَمَا أَشْبَهُهَا مِنَ الْآيَاتِ دَالَّةٌ عَلَى اِتْصَافِهِ ^{بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ}، فَكَانَ لَهُ مِنْهَا أَكْمَلُهَا وَأَجْلَهَا، وَهُوَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْهَا فِي الْذِرْوَةِ الْعُلِيَا، فَكَانَ ^{سَهْلًا} لِيَنَا قَرِيبًا مِنَ النَّاسِ، مُجِيبًا لِدُعَوَةِ مِنْ دُعَاهِ، قَاضِيًّا لِحَاجَةِ مِنْ إِسْتِقْضَاهِ، جَابِرًا لِقَلْبِ مِنْ سَأْلَهِ، لَا يَحْرِمُهُ، وَلَا يَرْدِهِ خَائِبًا، وَإِذَا أَرَادَ أَصْحَابَهُ مِنْهُ أَمْرًا وَافْقَهُمْ عَلَيْهِ وَتَابَعُهُمْ فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَحْذُورٌ، وَإِنْ عَزِمَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَسْتَبِدْ بِهِ دُونَهُمْ. بَلْ يَشَارِهِمْ وَيُؤَمِّرُهُمْ، وَكَانَ يَقْبِلُ مِنْ مُحَسِّنِهِمْ وَيَعْفُو عَنْ مُسِيَّهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ يَعَاشِرْ جَلِيسًا لَهُ إِلَّا أَتَمَّ عَشْرَةَ وَأَحْسَنَهَا، فَكَانَ لَا يَعْبَسُ فِي وَجْهِهِ، وَلَا يَغْلُظُ عَلَيْهِ فِي مَقَالَهِ، وَلَا يَطْوِي عَنْهُ بَشْرَهُ، وَلَا يَمْسِكُ عَلَيْهِ فَلَتَاتَ لِسَانَهُ، وَلَا يَؤَاخِذُهُ بِمَا يَصْدِرُ مِنْ جُفْوَهُ، بَلْ يَحْسِنُ إِلَى عَشِيرَهِ غَايَةُ الْإِحْسَانِ، وَيَحْتَمِلُهُ غَايَةُ الْاحْتِمَالِ ^(٢).

٢- الإِعْدَادُ الْخُلُقِيُّ لِلنَّبِيِّ ^{صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ} قَبْلَ الْبَعْثَةِ :

عِنْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ^{صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ} يَرْجُفُ فَوَادِهِ بَعْدَ نَزْوَلِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ أَوْلَى مَرَّةٍ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بْنَتَ خَوَلِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: (زَمْلُونِي زَمْلُونِي)، فَزَرْمَلَتْهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ، ثُمَّ لَمَّا أَخْبَرَ خَدِيجَةَ الْخَبَرَ، قَالَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)، فَقَالَتْ خَدِيجَةٌ: كَلا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصْلِي الرَّحْمَمْ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكَسِّبُ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمُ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ رَقْمُ (٧٤٦) بِلِفْظِ (فَقَلَتْ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَبَيَّنِي عَنْ خَلْقِ رَسُولِ اللَّهِ ^{صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ} قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَلَتْ بَلَى! قَالَتْ: فَإِنَّ خَلْقَ نَبِيِّ اللَّهِ ^{صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ} كَانَ الْقُرْآنَ).

وَبِاللِفْظِ الْمُشْهُورِ الَّذِي ذَكَرَهُ السَّعْدِيُّ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٤٨١١).

(٢) تَيسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ ٨٧٨ بِالْخَصْصَارِ وَتَصْرِيفِ.

المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق^(١).
وقد اشتهر ﷺ في مكة قبل البعثة بالصادق الأمين، حتى إن
كفار قريش كانوا يتذمرون عنده الأمانات مع مخالفتهم له في
العقيدة^(٢).

وهذه الأخلاق كانت بمثابة إقامة الحجة على أعدائه في بداية
دعوته، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: (يا
بني فهر، يا بني عدي...). لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل
إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب
وقريش، فقال ﷺ: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن
تُغير عليكم، أكنتم مصدقين؟). قالوا: نعم، ما جرّينا عليك إلا
صدقًا^(٣)، وفي رواية: "ما جرّينا عليك كذبًا"^(٤).

٣- تربيته ﷺ على رعاية اليتامى والاهتمام بهم:
قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا نَهَرُ﴾ [الضحى: ٩]. أي: "فلا تذله ولا تهله
ولا تنهه، ولكن أحسن إليه، وتلطف به، وقيل: كن لليتيم كالاب
الرحيم"^(٥).

(١) صحيح البخاري، باب كيف كان بداء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه ابن سعد الطبقات الكبرى ٢٢/٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٨٩/٦. وابن هشام في السيرة النبوية، حادثة الهجرة ٤٨٢/٢، والمقرizi في إمتناع الأسماع ١٩٩/٩٥٧، والسيوطى في تاريخ الخلفاء ١٦٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين (٤٧٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة تبت (٤٩٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وأنذر عشيرتك الأقربين (٢٠٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤٢٧/٨.

٤- تربية على المعاملة الحسنة للفقراء والسائلين:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تُنْهِرْ﴾ [الضحى ١٠]. أي: "فلا تنهى السائل في العلم المسترشد، وقيل: فلا تكن جباراً، ولا متكبراً، ولا فحشاً، ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله. وقيل: يعني رُدَّ المسكين برحمة ولدين"^(١).

"وهذا يدخل فيه السائل للمال والسائل للعلم؛ ولهذا كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم، ومبادرته بالإكرام والتحنّن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرااماً من كان يسعى في نفع العباد والبلاد"^(٢).

وقد كان رسول الله كذلك، فعن معاوية بن الحكم السلمي رض قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله صل إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تتظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، قلما صلي رسول الله صل فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)^(٣).

٥- تربية النبي صل على التواضع للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٢٧/٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧) مطولاً.

أي: "أَنْ جَانِبَكَ وَكَلَامَكَ 《لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ》" ^(١).

٦- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَلْبُ رَسُولِهِ ﷺ عَلَى أَمْتَهِ:

قَالَ تَعَالَى: 《فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْكَنْتَ فَطَّا غَلِيلَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلَكَ》 [آل عمران: ١٥].

قال السعدي: "برحمة الله لك ولا أصحابك من الله عليك أن أنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحببوك، وامتثلوا أمرك" ^(٢).

٧- حذر الله تعالى نبيه ﷺ من غلطة القلب وأنها تسبب التفرق عن

الداعي:

قال تعالى: 《وَلَوْكَنْتَ فَطَّا غَلِيلَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلَكَ》 [آل عمران: ١٥]

أي: لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لأنفسهم عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك" ^(٣).

"فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين تجذب الناس إلى دين الله وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تفتر الناس عن الدين وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبيها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟" ^(٤).

وقد ذكرت هذه الصفة لرسول الله ﷺ في الكتب المنزلة قبله، كما قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: إنه "رأى صفة رسول

(١) جامع البيان ٤١١/١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١٤٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٤٨/٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ١٤٥.

الله ﷺ في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يغفو ويصفح^(١).

٨- أمر الله نبيه ﷺ بالغفو عن المؤمنين والاستفار لهم:

قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَمَ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا قَلْبٌ لَا يَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥]. أمره الله تعالى بأن يغفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه ﷺ، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين الغفو والإحسان^(٢).

٩- تربيته على الرأفة والرحمة بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١٢٨]. يمنّ تعالى على عباده المؤمنين أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعرفون حاله ويتذمرون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعى في مصالحهم^(٣).

"وقال سبحانه: ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهي أشد حساسية وأعمق صلة من قوله: منكم، وأدل على نوع الوشيعة التي تربطهم به، فهو بضعة من أنفسهم تتصل بهم صلة النفس بالنفس. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ﴾ يشقّ عليه عنكم ومشقتكم، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ لا يلقي بكم في المهالك، ولا يدفع بكم إلى المهاوي، فإذا هو كلفكم الجهاد وركوب الصعاب بما ذلك من هوان بكم عليه، ولا بقسوة في قلبه

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً} (٤٨٣٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١٤٥.

(٣) المصدر السابق ٣٥٦.

وغلظة، إنما هي الرحمة في صورة من صورها. الرحمة بكم من الذل والهوان، والرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة، وحظ رضوان الله، والجنة التي وعد المتقون^(١).

١٠- تربيته على النظافة الحسية والمعنوية:

قال تعالى: ﴿وَثَبَّكَ فَطَهِرْ﴾ [المدثر: ٤]. يحتمل أن المراد بثيابه: أعماله كلها، وبتطهيرها: تقيتها من المبطلات والمفسدات والمنقصات من شر ورياء ونفاق وعجب وتكبر وغفلة، وغير ذلك مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصاً في الصلاة^(٢).

"الطهارة هي الحالة المناسبة للتلاقي من الملأ الأعلى، كما أنها ألقى شيء بطبيعة هذه الرسالة، وهي بعد هذا وذاك ضرورية لملابسات الإنذار والتبلیغ، ومزاولة الدعوة في وسط التيارات والأهواء والمداخل والdrobs، وما يصاحب هذا ويلبسه من أدران ومقادر وأخلاق وشوائب. يحتاج الداعية إلى الطهارة الكاملة كي يملك استقادة المؤثرين دون أن يتلوث، وملابسات المدعين من غير أن يتensus. وهي لفتة دقيقة عميقه إلى ملابسات الرسالة والدعوة، والقيام على هذا الأمر بين شتى الأوساط، وشتى البيئات، وشتى الظروف، وشتى القلوب"^(٣).

(١) في ظلال القرآن ١٧٤٣/٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨٩٥.

(٣) في ظلال القرآن ٣٧٥٤/٦.

١١- تربيته على عدم المُتَّهِّم بالعمل وطلب الجزاء والزيادة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنَنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] يوجّه الله تعالى رسوله ﷺ إلى إنكار ذاته وعدم المُتَّهِّم بما يقدمه من الجهد، أو استكثاره واستعظامه، فهو سيقدم الكثير، وسيبذل الكثير، وسيلقى الكثير من الجهد والتضحية والعناء. ولكن ربه يريد منه ألا يظلّ يستعظم ما يقدمه ويستكثره ويمتنّ به .. وهذه الدعوة لا تستقيم في نفس تحسّن بما تبذل فيها. فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تتحمله النفس إلا حين تتساه. بل حين لا تستشعره من الأصل؛ لأنها مستفرقة في الشعور بالله. شاعرة بأن كل ما تقدمه هو من فضله ومن عطياته، فهو فضل يمنحها إياه، وعطاء يختارها له ويوقفها لنيله. وهو اختيار واصطفاء وتكرير يستحق الشكر لله. لا المُتَّهِّم والاستكثار^(١).

١٢- تربيته على حسن التعامل ومعاشرة الخلق والحكمة في ذلك:

قال تعالى: ﴿خُذِ الْفَعْوَأْمَرْ بِالْمَعْرِفَةِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُنُهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

علم الله تعالى رسوله ﷺ في هذه الآية أسمى الآداب وأرفعها، وأفضل الأخلاق وأكملها في التعامل مع الناس باختلاف نفسياتهم وطبعاتهم . فـ“هذه الآية جامدة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم . فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ العفو أى: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبعاتهم، بل يشكر من كل أحد ما قبله به

(١) في ظلال القرآن/٦/٣٧٥٤.

من قول و فعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتشرح له صدورهم.

﴿وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بكل قول حسن و فعل جميل و خلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم، أو حث على خير من صلة رحم و بر الدين وإصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية.

وما كان لا بد من أذية الجاهل أمره الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصله، ومن ظلمك فاعدل فيه^(١).

الرعاية العلمية من الله
المؤهلات العلمية والقدرة الذهنية والهمة
تعالى لخاتم الأنبياء
النفسية على الطلب، وهيأ له المكان
المناسب والجو المناسب للتعلم. فكان توجيهه الله تعالى له في بداية الدعوة بقوله: ﴿أَقْرَا﴾ توجيهًا يدل على أهمية العلم والتحصن به في تلك الرسالة، والاعتماد عليه بعد الله في تبليغ الرسالة .
وسنعرض بعض معالم رعاية الله لنبيه ﷺ في الجانب العلمي؛
لتكون نبراساً للعلماء والدعاة في التعليم والتوجيه وصناعة الرجال،

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢١٣

وتتمثل في التالي:

التأهيل على التعلم

أولاً: نشأة النبي ﷺ في بيئة تساعد على التعلم:

نشأ النبي ﷺ في بادية بني سعد حيث صفاء النفوس، وذكاء العقول. قال الشيخ محمد الغزالى: "وتنشأ الأولاد في الباية ليمرحوا في كنف الطبيعة، ويستمتعوا بجوها الطلق وشعاعها المرسل أدنى إلى تزكية الفطرة، وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق الأفكار والعواطف.

ونحن نقدر لأهل مكة اتجاههم إلى الباية لتكون عرصاتها الفساح مدارج طفولتهم، وكثير من علماء التربية يودون لو تكون الطبيعة هي المعهد الأول للطفل حتى تتسع مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه، ويبدو أن هذا حلم عسر التحقيق^(١).

وقد تعلم رسول الله ﷺ في بادية بني سعد اللسان العربي الفصيح، فكان أوضح الخلق، وعندما قال له أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ما رأيت أوضح منك. قال ﷺ: (وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد)^(٢).

(١) فقه السيرة للغزالى ص: ٦٠ ، ٦١.

(٢) الروض الأنف للسمهيلي ١٨٨/١. وأخرجه الطبراني في الكبير ٣٥٣٧(٥٤٣٧)، وذكره ابن حجر في

"التلخيص الحبير" ١٤/١٦٥٨ والبيهقي في مجمع الزوائد ٢٢١/٨، فقال: "فيه مبشر بن عبيد وهو متزوك"

أهـ. وفيه بقية بن الوليد والحجاج بن أرطأة وعطية العويفي وثلاثتهم مدلسون فضلاً عن ضعف الحجاج وعطية.

وقد ورد استرضاعه في بني سعد بسند جيد من طريق ابن إسحاق، قال ﷺ: (واسترضعت في بني سعد بن

بكر) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢١٩/١، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢٩٩/٢،

وقال: "هذا إسناد جيد قوي". وأصل الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ

إلى السماوات وفرض الصلوات ١٤٧/١ رقم ١٦٢/٢٦١. وانظر: السير لابن هشام ١/١٧١، وميزان الاعتراض

٤٢٦/١، السيرة النبوية في الصحيحين ص: ١١٨-١١٩، والسير الصديقة ص: ٩٨-١٠٢.

ثانياً: بدء النبوة بالتعلم والتعليم:

وذلك متمثل في الأمر بالقراءة، قال تعالى: ﴿أَقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ
خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلِقٍ﴾ ﴿٢﴾ ﴿أَقْرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿٤﴾ ﴿الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ﴾ ﴿٤﴾
﴿الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿الْأَعْلَى ١-٥﴾.

هذه الآيات الخمس هي أول توجيه لنبينا محمد ﷺ، فما ترى ما هي أسرار ذلك التوجيه وهذه الرعاية العلمية وأثرها في بداية إعداد النبي ﷺ للدعوة؟.

أ- البداية بالأمر بالبسملة: ﴿أَقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إنها السورة الأولى من القرآن، والتوجيه الأول في اللحظة الأولى من الوحي، وفي أول خطوة في طريق التعلم فهي تبدأ باسم الله.

وفي هذا إشارة إلى أن بداية كل أمر تكون بالبسملة، ونرى هذا جلياً في تعليم النبي ﷺ لأمته حيث يأمرهم في بداية كل أمر أن يقولوا: بسم الله؛ في الوضوء ودخول المسجد، ودخول البيت والخروج منه، وفي سائر أحوالهم^(١).

فهذه البداية وضعفت قاعدة التصور الإيماني العريضة، في كل أمر وكل حركة، وكل خطوة وكل عمل، بأن يبدأ باسم الله، وعلى اسم الله، وباسم الله نبدأ وباسم الله نسير، وإلى الله نتجه وإليه

(١) ورد في الحديث: (ولا يثقل مع اسم الله شيء)، أخرجه الترمذى، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩)، ومسند أحمد ٢١٢/٢ (٦٩٩٢) ولفظه: (ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم) قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الصحيح غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني". وانظر: تقصيل مسألة التسمية والأحاديث الواردة والحكم عليها في بحث بعنوان: تقصيل المقال على حديث كل أمر ذي بال. د.عبد الغفور بن عبد الحق بن حسين البلوشي، منشور بمجلة البحوث الإسلامية، عدد ٣٩ ص ١٣١-٢٣٧.

نصير^(١).

ب- بيان كرم الله تعالى على نبيه بالتعليم: ﴿أَفَرَأَوْ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ "تدل الآية على كمال كرمه سبحانه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم"^(٢).

ج- المنة بتعليم الإنسان أدوات اكتساب العلم: ﴿الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْوِ﴾ هذه الآية فيها إشادة بالقلم وخطره، والعلم ومنزلته في بناء الشعوب والأمم، وفيها إشارة واضحة بأن من أخص خصائص الإنسان العلم والمعرفة^(٣).

د- مصدر العلم والتعلم: ﴿عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فإذا نظرت إلى الآية مستقلةً بما تضمنه حديث عائشة رضي الله عنها في وصف سبب نزولها كان الاستئناف ناشئاً عن سؤال يجيئ في خاطر الرسول ﷺ أن يقول كيف أقرأ وأنا لا أحسن القراءة والكتابة؟ فأجيب بأن الذي علم القراءة بواسطة القلم يعلمك ما لم تعلم.

وإذا قرنت بين الآية وبين الحديث المذكور كان الاستئناف جواباً عن قوله لجبريل (ما أنا بقارئ) فالمعني: لا عجب في أن تقرأ وإن لم تكن من قبل عالماً بالقراءة! إذ العلم بالقراءة يحصل بوسائل أخرى مثل الإملاء والتلقين والإلهام، وقد علم الله آدم الأسماء ولم يكن آدم قارئاً^(٤).

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]. أي:

(١) في ظلال القرآن ٣٩٣٩/٦ يتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢٠/٢٠.

(٣) في ظلال القرآن ٣٩٣٩/٦.

(٤) التحرير والتنوير ٤٣٦/٣٠.

نبّيّه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا^(١).
”وفي هذا إبراز مصدر التعليم؛ إن مصدره هو الله، منه يستمد
الإنسان كل ما علم.“^(٢).

إن مصدر العلم النافع من الله عَزَّلَهُ، فهو الذي عَلِمَ بالقلم، وعلم
الإنسان ما لم يعلم، ومتى حادت البشرية عن هذا المنهج وانفصلت
عنها عن التقيد بمنهج الله تعالى رجع علمها وبالاً عليها وسبباً في
إبادتها^(٣).

ثالثاً: وعد الله لنبيه بعدم نسيان العلم:

قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٢٦]، قال ابن كثير: ”وقوله:
﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ أي: يا محمد ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ وهذا إخبار من الله عَزَّلَهُ ووعد
منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها“^(٤).

وقال السعدي: ”أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب ونوعيه
قلبك فلا تنسى منه شيئاً، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله
محمد ﷺ أن الله سيعلمه علماً لا ينساه“^(٥).

قال الباقياني: ”وكان ﷺ يقرأ مع جبريل حال قراءته فزعاً منه
أن يذهب عنه حفظه حتى نهاده الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ
بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْ فِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]
ويقوله: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] معناه: لا تعجل بقراءتك“

(١) تفسير القرآن العظيم/٨/٢٧٨.

(٢) في ظلال القرآن/٦/٣٩٣٩ يتصرف.

(٣) انظر: الوحي وتبلیغ الرسالة، ص ٣٤ باختصار.

(٤) تفسير القرآن العظيم/٨/٢٧٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن/٩٢٠.

حتى يفرغ جبريل عليه السلام، ثم طمأن قلبه بأنه يحفظه إياه ويثبت حفظه في قلبه، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقَرَأَهُ﴾ [القيامة: ١٧] يعني: في صدرك وحفظه. ووعده أن لسانه يقرؤه قراءة لا يحصل معها نسيان فقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾ [الأعلى: ٦] يعني: قراءة لا نسيان معها. فجبريل عليه السلام سمع كلام الله وفهمه، وعلم الله النظم العربي الذي هو قراءته، وعلم جبريل نبينا عليه السلام القراءة، وعلم النبي عليه السلام أصحابه، ولم يزل ينقل الخلف عن السلف ذلك إلى أن اتصل بنا فصرنا نقرأ بعد أن لم نكن نقرأ.

شمولية تعلم النبي ﷺ

١ - علم الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ كل شيء:
 قال تعالى: ﴿وَنَزَّلَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبَيَّنَتْ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال ابن كثير: "قد بُيّن لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء"^(١)؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطَنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]. ونزل عليه في حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكَلَتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا﴾ [المائدة: ٣].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علمًا. قال: فقال صلوات الله عليه وسلم: (ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيّن لكم)^(٢).
 فهذا العلم الذي علمه النبي صلوات الله عليه وسلم للصحابة هو من تعليم الله تعالى له

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٤.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧) وصححه الألباني في الصحيحة ٤/٤١٦/٤١٠٣.

ومن رعاية الله تعالى له ولهم.

٢- آتاه الله الحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم؛ لكي يتمسك بهذا العلم:

وهذه منة من الله تعالى على نبيه بأن آتاه الحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم؛ وذلك ليستمسك بهذا العلم قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

[النساء: ١١٣].

قال الشنقيطي: "ذكر في هذه الآية الكريمة أنه تعالى علم نبيه ﷺ ما لم يكن يعلمه، وبين في مواضع آخر أنه علمه ذلك عن طريق هذا القرآن العظيم الذي أنزله عليه، كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنَ جَعَلْنَا نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾" [الشورى: ٥٢]

وقوله ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَخْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَنْعَفْ لَكَ﴾ [يوسف: ٣]، إلى غير ذلك من الآيات^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء وعلم الأولين والآخرين. والمراد بقوله تعالى: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: إما السنة التي قد قال فيها بعض السلف: (إن السنة تنزل عليه كما ينزل القرآن)^(٢)، وإما معرفة أسرار

(١) أضواء البيان/١/٣٠٦.

(٢) روى الإمام أحمد في المسند (٤٠٤/٢٨) وأبو داود في السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة رقم (٤٦٠٤) وصححه الألباني والأرنؤوط، من حديث المقدم بن معييكرب قال رسول الله ﷺ: (ألا إنني أوقيت القرآن ومثله معه) يعني: السنة. والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن؛ إلا أنها لا تنزل كما =

الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتزيل الأشياء منازلها، وترتيب كل شيء بحسبه.

٣- مِنْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ بِأَنْ هَدَاهُ لِلْحَقِّ :

قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى﴾ [سورة الضحى ٧]، "وَجَدَكَ" ما كنت تدرى مَا أَلِكَتْ بُلَّا إِلَيْمَنْ ﴿الشوري: ٥٢﴾، فَأَنْزَلَ ﴿اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ ووفقاً لأحسن الأعمال والأخلاق، فهدایة الله تعالى بالأمر الذي أوحى به إليك، والمنهج الذي يسلك به، والهداية من حيرة العقيدة وضلال الشعاب فيها هي المنة الكبرى التي لا تعدلها مئة، وهي الراحة والطمأنينة من القلق الذي لا يعدله قلق، ومن التعب الذي لا يعدله تعب^(١).

العناية بمصدر التأفيي

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشوري: ٥٢].
وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمُؤْمِنِ﴾ ٢ ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْدَهُ يُوَحِّي﴾ ٤ عَلَمَهُ، شَدِيدُ الْقُوَى ٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ٦ وَهُوَ بِالْأُقْفِ الْأَعْلَى ٧ ثُمَّ دَنَّا فَنَدَّا ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ٣ - ١٠].

بِتْلِي الْقُرْآنِ.

قال شيخ الإسلام: "عليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَاتِئِينَ خَصِيمًا) [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزِيْرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتَبْيَنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ وَلِعِلْمِهِمْ يَقْنَطُونَ) [النَّحْل: ٤٤]، وقال تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتَبْيَنَ لِهِمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدِيَ وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [النَّحْل: ٦٤]. مجموع الفتاوي ٣٦٣-٣٦٤/١٣

(١) في ظلال القرآن ٣٩٢٧/٦.

قال ابن جرير: "وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه ﴿إِنَّهُ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه".^(١)

قال السعدي: "ثم ذكر المعلم للرسول ﷺ وهو جبريل عليه السلام أفضل الملائكة الكرام وأقواهم وأكملهم، فقال: ﴿عَامَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أي: نزل بالوحي على الرسول ﷺ جبريل عليه السلام، ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تفزيذ ما أمره الله بتنفيذها، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ ومنعه من اختلاس الشياطين له أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ اللَّهُ بِوَاسْطَةِ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ﴾^(٢)
محمد ﷺ ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ أي: الذي أوحاه إليه من الشرع العظيم والنبا المستقيم".

فتعلم النبي ﷺ بأشرف وأعظم وسيلة وهي الوحي عن طريق خير وأعظم الملائكة الكرام وهو جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَانًا﴾ [الكهف: ١]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

(١) جامع البيان /٢٢/٤٩٧-٧٩٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٨١٨ باختصار.

التنبيه على أخلاقيات التعلم

١- أمره تعالى بطلب الزيادة في العلم:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [١١٤] "فالله تعالى لم يأمر نبيه عليه السلام بطلب الازيد من شيء إلا من العلم"^(١)، "إِنَّ اللَّهَ هُدِي نَبِيٌّ بِمَا أَوحَاهُ إِلَيْهِ، وَعَلِمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَأَمْرَهُ بِسُؤَالِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ" بقوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وهذا يقتضي أنه كان عالماً، وأنه أمر بطلب المزيد من العلم^(٢).

"وَقِيلَ: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أَيْ: فَهَمَاً. وَقِيلَ: حَفْظًا، وَهَذَا القَوْلُ مُتَضَمِّنٌ لِلتَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَالشُّكْرِ لَهُ أَيْ: عَلِمْتَنِي مَا أَرَبَ لطِيفَةً فِي بَابِ التَّعْلُمِ وَأَدِبًاً جَمِيلًاً مَا كَانَ عَنِّي"^(٣).

فهذه التربية العلمية فيها من الفوائد الكثير. ومنها: أن يعلم رسوله عليه السلام أنه مهما بلغ من العلم والمعرفة فلم يصل إلا للقليل من العلم، ويعلمه بذلك التواضع والحرص على الفهم لما يتعلم.

٢- تربيته على حسن الاستماع والإصغاء في تلقي العلم وعدم

الاستعجال في طلب العلم:

قال تعالى: ﴿فَتَعَلَّمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [١١٤].

ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة، فكان يحرك لسانه، فأنزل الله هذه

(١) فتح الباري / ١٧٠/١.

(٢) الفتاوى الكبرى / ٥٧/٥.

(٣) البحر المحيط / ٢٠٦/٦.

الآية^(١) ، أي: "أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا جاءه جبريل بالوحى كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يشق عليه، فقال: ﴿لَا تُخْرِكْ بِهِ إِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^{١٦} [إِنَّ عَيْنَانِي جَمِيعَهُ، وَقُرْءَانَهُ]

﴿القيامة: ١٦ - ١٧﴾ . أي: أن نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تتسرى منه شيئاً، ^{١٧} ﴿فَإِذَا قَرَأَنَاهُ فَأَنْجَعَ قُرْءَانَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَيْنَانِي بِإِسَانَهُ﴾ . وقال في هذه الآية: ^{١٨} ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ . أي: بل أنت أصلت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده^(٢) .

قال الشنقيطي: "فيه الإيماء إلى حسن الاستماع والإصغاء عند الإيحاء به"^(٣) .

وقال الجزائري: "يعلم تعالى رسوله كيفية تلقي القرآن عن جبريل ^{ال天使} فيرشده إلى أنه لا ينبغي أن يستعجل في قراءة الآيات، ولا في إملائتها على أصحابها، ولا في الحكم بها حتى يفرغ جبريل من قراءتها كاملة عليه وبيان مراد الله تعالى منها في إنزالها عليه"^(٤) .

٣- التربية على التدرج في تلقي العلم:

كان أول الوحي لرسول الله ﷺ هو الرؤيا الصالحة، ولعل الحكمة من الابتداء بالمنام أنه لو لم يبتدئه بالرؤيا وأتاه الملك فجأة، ولم يسبق له أن رأى ملكاً من قبل، فقد يصيبه شيء من الفزع فلا

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (فلا تجعلوا لله أنداداً) (٧٥٢٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣١٩/٥.

(٣) أضواء البيان ٣٧٤/٨.

(٤) أيسر التفاسير للجزائري ٣٨٢/٣.

يستطيع أن يتلقى منه شيئاً؛ لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يأتيه الوحي أولاً في المنام ليتدرّب عليه ويعتاده^(١).

فكان ﷺ قبل نزول جبريل عليه السلام عليه بالوحي في غار حراء يرى الرؤى الجميلة فيصحو من شرح الصدر، مفتح النفس لكل ما في الحياة من جمال^(٢)، يراها في النوم فتجيء في اليقظة كاملة واضحة، شبّهتها السيدة عائشة رضي الله عنها بظهور ضوء الصبح^(٣).

٤- التربية على العمل بالعلم:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَانِعَّمَ قُرْءَانُهُ﴾ [القيامة: ١٨]. قال ابن حجر: "أولى هذه الأقوال في ذلك قول من قال: فإذا ثُلِيَ عليك فاعمل به من الأمر والنهي، واتبع ما أمرت به فيه"^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَاعْمَلْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَّقَبَّلَكُمْ وَمُشَوِّنَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

قال أبو حيان: "دم على عملك بتوحيد. واحتج بهذا على قول من قال: أول الواجبات العلم والنظر قبل القول والإقرار"^(٥).

وقال السعدي: "العلم لا بدّ فيه من إقرار القلب، ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه"^(٦).

(١) منامات الرسول ﷺ، عبدالقادر الشيخ إبراهيم ص ٥٧.

(٢) طريق النبوة والرسالة ص ٢٢.

(٣) محمد رسول الله، محمد صادق عرجون ٢٥٤/١.

(٤) جامع البيان؛ ٢٤/٧٠.

(٥) البحر المحيط ٦١/٨.

(٦) تيسير الكريم الرحمن ٧٨٨.

**وقال الإمام البخاري رحمه الله: "باب العلم قبل القول والعمل" ،
واستشهد بهذه الآية الكريمة^(١).**



(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.